الأدباء والفنانون بمعارك شعوبهم وقضايا عصرهم ومصير الإنسانية كلها وبخاصة فى عصر تسير فيه الاكتشافات العلمية بخطى حثيثة ، وقد تساء استخدام تلك الاكتشافات فتصبح وسيلة لتدمير البشر بدلا من إسعادهم ، وذلك ما لم ينشط رجال الأدب والفن إلى تحمل مسئولياتهم فى تغذية الوجدان البشرى وتنمية الضمير الإنسانى على النحو الذى يمكن البشر من السيطرة على العلم وتسخيره لخيرهم وما أصدق مفكر عصر النهضة الفرنسى (رابليه) عندما قال : «إن علمًا بلا ضمير خراب للنفس» . ومصير الإنسانية كلها رهين بتنمية هذا الضمير بفضل تحمل الأدباء والفنانين لمسئولياتهم كاملة والسير بتلك المسئوليات بنفس الخطى الحثيثة التى يسير بها اليوم التقدم العلمى .

وعلى أساس كل هذه الحقائق نرى المنهج الأيديولوجى فى النقد يناصر اليوم عدة قضايا أدبية وفنية كبيرة مثل قضية الفن للحياة ، وقضية الالتزام فى الأدب والفن ، وتفضيل الأدب أو الفن القائد على الأدب أو الفن الصدى . ومن الواضح أن كل هذه القضايا ترتبط بواقع الحياة المعاصرة وقضاياها ومعاركها ، وإن يكن من الواجب أن نفطن أيضا إلى أن الواقعية ليس معناها محاكاة الواقع ولا تصويره آليا ، وذلك لأن العبرة فى الواقعية بالمضمون الذى يصبه الأديب أو الفنان فى الواقع ، أى وجهة نظره إلى هذا الواقع والحكم الذى يريد أن يوحى إلينا به من خلال الصور الفنية التى اختارها لموضوعه ، ولذلك ليست هناك واقعية مجردة بل هناك واقعية متشائمة التى عرفها الغرب فى القرن التاسع عشر ، وهى التى تؤمن بأن الإنسان شرير بطبيعته وبحكم تكوينه الفسيولوجى نفسه ، وكأنه بذلك شر حتمى لا فكاك منه إلا بأن يغير الإنسان